«الجنة الآن» لهاني ابو اسعد:

هل صنع المخرج فيلمه وعينه على المشاهد الغربي؟

د. عماد عبد الرازق

لقطة من فيلم «الجنة الان»

■ لم يفوت المخرج هاني أبو اسعد الفرصة فور اعلان فوز فيلمه «الجنة الآن» بجائزة غولدن غلوب كأحسن فيلم أجنبي لكى يعلن لدى تسلمه الجائزة أن المغزى السياسي وراء الفوز هو أنه يبين أن الفلسطينيين يستحقون الحرية والمساواة دون أي قيد أو شرط! وكأنما جدارة الفلسطينيين بالمساواة والحرية لم تكن قائمة من قبل وولدت مع فوز فيلمه بالجائزة؟ فإن كان يقصد أن قرن فوز الفيلم باسم «فلسطين» ككيان سياسي يشير الى اعتراف ضمني بـ«الدولة» التي يحلم بها كل فلسطيني، أو أن فوز الفيلم بالجائزة يعد اعترافا بجدارة هذه السينما ودورها في التعبير عن طموحات شعبها في الحرية والمساواة، فلنا أن نفترض انه لم يكن موفقا في التعبير او أن فرحة الفوز استغرقته. وله كل العذر.

ولكن ماذا عن اختلاط الرؤية أو اضطرابها في الفيلم ذاته؟

أول عناصر هذه الرؤية يتمثل في الزعم بأن إحدى مقولاته الأساسية هي ان العمليات الانتحارية/ الاستشهادية سببها الاحتلال. فإن كان الفيلم قد قال ذلك فهو تحصيل حاصل ولم يأت بجديد. قد يكون المخرج قد اشار الى ذلك في معرض تعليقاته او شروحاته للفيلم، لكن هذا ما لم نره في الفيلم ذاته. فلم نر تجسيدا حقيقياً لمعاناة الفلسطينيين تحت الاحتلال بأي درجة يمكن ان تدفع المشاهد ـ خاصة غير العربي ـ للتعاطف مع أبطال الفيلم. بمثل ما اننا لم نر ايا من العمليات الانتحارية أو تأثيرها أو ضحاياها، ولم نر بالتالي رد الفعل الاسرائيلي والذي غالبا ما يتمثل في عقاب جماعي، وتلك هي أبعاد الدائرة الجهنمية من العنف والعنف المضاد، العمليات والردود الانتقامية التي تعقبها عمليات أخرى والتي يدور فيها الصراع الفلسطيني الاسرائيلي طوال السنوات القليلة الماضية. اين الفيلم من كل هذا؟ بل إن التغطيات الإخبارية لذلك الصراع والتي تبثها شاشات التليفزيون حول العالم على مدار الساعة وعلى مدار العام، تحوي صورا ومشاهد لا حصر لها من هذه العواقب الكارثية لدائرة العنف والعدوان ومعاناة الفلسطينيين التي لا تنتهي في ظل الاحتلال. وهذه الصور ذاتها هي التي أكسبت الفلسطينيين تعاطفا عالميا وهي التي دفعت شخصيات عالمية للتعبير عن تفهمها عن حالة اليأس التام الذي يدفع إليه الفلسطينيون وينتج عنها إقدامهم على العمليات الانتحارية. (هذا ما قالته شيري بلير، حرم رئيس الوزراء البريطاني، وامبراطور الاعلام الأمريكي، تد تيرنر، ووزير الخارجية البلجيكي السابق، على سبيل المثال لا الحصر).

الفيلم إذن لم يؤسس هذا الترابط بين الاحتلال ودفعه الفلسطينيين الى اليأس والعمليات الانتحارية بمنطق الدراما (ولا حتى بمنطق تسجيلي او وثائقي)، فكل ما شاهدناه من «ظلم» الاحتلال وعسفه وقهره، بضع نظرات وقحة او مريبة يوجهها جندي اسرائيلي على حاجز امني للفتاة العربية اثناء تفتيشه حقيبتها. (المدهش حقا ان الفيلم ناله بعض من هذا العدوان الاسرائيلي كما تقول التقارير الاخبارية عنه، حيث تعرضت مدينة نابلس للقصف الصاروخي كما انفجرت عبوة ناسفة قرب احد مواقع التصوير فضلا عن اختطاف أحد العاملين الأجانب في طاقم الفيلم بواسطة مسلحين فلسطينيين. اما كان حريا بالفيلم ان ينقل لنا مثل هذه الوقائع كدليل دامغ على القهر الذي يعيش تحته الفلسطينيون؟ الم يكن هذا ليصبح اجتراح الفيلم الأكثر تأثيرا وعمقا باندماج موضوع الفيلم وشكله على نحو حيوي لا ينفصم، حين يجد أولئك الذين جاؤوا لتصوير عسف الاحتلال وقهره ـ إذا كان هذا هدفهم حقا ـ الى متلقين لبعض من هذا العسف؟ الم يكن هذا تحديدا ما فعله المخرج الأمريكي أوليفر ستون اثناء تصويره فيلم «شخص غير مرغوب فيه» قبل سنوات قليلة؟ أولم يفعلها الاسرائيليون مرارا وتكرارا بقتلهم نشطاء أجانب عمدا ومع سبق الإصرار والترصد في نفس لحظة احتجاجهم السلمي على ممارسات الاحتلال؟ وماذا عن الوقائع الأحدث كاختطاف مسلحين فلسطينيين لأجانب جاؤوا خصيصا لمساعدة الفلسطينيين في مشاريع شتى تعبيرا عن تضامنهم وإيمانهم بعدالة قضيتهم.؟ افلا يجسد كل هذا جزءا من صميم «الحالة الفلسطينية» وواقعها الكافكاوي، والمأساوي؟ أين الفيلم من كل هذا؟

من ناحية أخرى، هناك خلط في تصوير الدوافع الشخصية أو الإيديولوجية للأشخاص الذين يقومون بتنفيذ العمليات الانتحارية. بطلا الفيلم، الشابان سعيد وخالد، صديقان منذ الطفولة يعيشان في مدينة نابلس ويعملان بشكل غير منتظم في ورشة لإصلاح السيارات. الاثنان أخذا على نفسيهما عهدا بأن يظلا اصدقاء أبد الدهر وألا يفرقهما شيء سوى الموت، وليكن ذلك من خلال قيامهما بعمليتين استشهاديتين سويا في نفس اللحظة، حينما يحين موعد تلبيتهما النداء. الفكرة في حد ذاتها تبدو غريبة حد العبث أو اللامعقول، ولكن لنا ان نفترض أنها من افرازات الواقع الفلسطيني العبثي اليومي ـ الذي لم يرنا المخرج من ملامحه شيئا يذكر باستثناء مشهد صاحب السيارة الأخرق الذي يصر على ان يري حاجز الصدمات في السيارة معوجا رغم اعتداله. مثل هذه التفصيلة على رمزيتها لا تشي بالكثير، وهناك عشرات الأمثلة كهذه في الحياة اليومية للمجتمعات العربية الفقيرة التي ترزح تحت صنوف مختلفة من القهر (عبّارات تغرق بمن عليها وقطارات ومسارح تحترق بمن فيها وما لا حصر له من اشكال الموت المجاني واليأس والبؤس، ولم نر حتى الآن اصدقاء دفعهم اليأس الى الانتحار المزدوج).

ومع ذلك لنعمل مبدأ «تعليق الشك» الذي يحكم علاقة المشاهد بالعمل الفني، ولنمش مع الفكرة الى نهايتها «المنطقية»: ها قد حان وقت تلبية طلب الشهادة أخيرا وجاءهما ضابط الاتصال من التنظيم ـ الذي لا نعلم له هوية سياسية محددة سوى انه يجند أناسا ليسوا اعضاء فيه لتنفيذ عمليات انتحارية/ استشهادية! هكذا معطى آخر مجاني في الفيلم ـ ليجهزهما للمهمة في غضون ثماني واربعين ساعة.

هذه الفكرة الرئيسية التي تحدد شخصيتي بطلي الفيلم مقدمة لنا كمعطى مجاني. فالبطلان ليسا بالضرورة على درجة من التدين، ولا رأينا أي دليل على التزامهما إيديولوجيا أو حتى تنظيميا، فهما يقضيان ايامهما على نحو عادي جدا بين شرب الشاي والتدخين وسماع الموسيقي والعمل كلما كان متاحا، أو كلما عنّ لأيّ منهما. حياتهما خالية من الاثارة ليس فيها آمال كبار ولا طموحات، ولكنها أيضا ليست مدلهمة السواد ولا في منتهى اليأس. لا هذا ولا ذاك. ليس هناك إذا دوافع إيديولوجية أو دينية قوية تدفعهما للاقدام على تنفيذ عمليات استشهادية. ولنا أن نفترض أن من يقدمون على تنفيذ هذه العمليات إنما يخضعون لنوع من التدريب والاعداد الذهني، وهم غالبا منضوون في تنظيمات تزرع فيهم تلك القناعات وتشحذهم وجدانيا وروحيا، وتؤهلهم لتلك اللحظة التي سيضحون فيها بحياتهم من أجل قضية يؤمنون بها. كلا لم نر شيئا من هذا لدى اي من البطلين.

بدلا من ذلك، نجد أن أحد الشابين، «سعيد»، مدفوع بإحساس عميق بالذنب يطارده منذ الطفولة بسبب أن أباه كان متعاونا مع العدو الصهيوني وقد دفع الأب ثمنا لذلك، ولهذا فالابن يكابد طوال الوقت احساسه الدفين بالخزي، وإقدامه على التطوع لتنفيذ عملية انتحارية يصبح معادلا لخلاصه الروحي، بصرف النظر عن اقتناعه بجدوى العملية. هذا التحليل او التبرير قد يبدو متسقا مع بناء الشخصية دراميا لكنه يختزل من ناحية أخرى مفهوم العمليات الانتحارية/الاستشهادية على نحو مخل تماما، بل إنه يفقد هذه العملية التي يقدم عليها البطل في نهاية الفيلم بالذات مبررها الاخلاقي. فهى تبدو كعقاب للاسرائيليين او انتقاما منهم على تعاون أبيه معهم!

هذه المكابدة تكبر بداخل «سعيد» كنتيجة لمشاعر الحب التي تتبرعم في قلبه تجاه «سهى» التي تتردد على ورشة السيارات التي يعمل فيها لإصلاح سيارتها، ففي اللحظة التي توشك حياته البائسة أن تكتسي بعضا من معنى جميل، يحين موعد الوعد الذي كان قد قطعه على نفسه مع صديق طفولته أن يموتا سويا شهداء للوطن. ظهور الفتاة «سهى» من شأنه أن يطيل أمد الصراع داخله ويعقده حين تحتدم المواجهة بينهما وتحاجج هي ضد العمليات الانتحارية على اساس انها ليست من العدل في شيء ولن تجلب عدلا، كما يقول هو، بل إنها لا تخرج عن كونها نوعا من الانتقام خاصة وانها غالبا ما تطال اناسا أبرياء على الطرف الآخر. لكن نقطة ضعف الفيلم هنا تكمن في أنه لا يرينا هذه المحاججة سينمائيا ولا دراميا، فالشخصيات تكتفي بالثرثرة حولها وكل يبدو مستمسكا بقناعته.

العجز وحده ليس كافيا

هل هي كوميديا سوداء ام معالجة تهكمية لظاهرة العمليات الانتحارية؟ هنا ايضا نجد قدرا غير قليل من الخلط. إذا قلنا أن من يقدم على قتل نفسه وآخرين مدفوعا بشعور عميق بالعجز كما يقول المخرج في تصريحاته، فتلك بالتأكيد تيمة مأساوية يصعب تناولها بخفة أو بمزيج من التظرف والتهكم، على النحو الذي جاء في بعض مشاهد الفيلم. على سبيل المثال تتعطل كاميرا الفيديو التي سيتم بها تصوير رسالة الوداع التي يسجلها كل انتحاري قبيل مضيه الى مصيره المحتوم، فيفقد «سعيد» صبره ويحتد على المصور صارخا: «شو حاتروح تجيب مرتك تشغلها؟». وفي نفس المشهد نجد ضابط الاتصال المكلف بتجهيزهما للعملية يتابع أداء الانتحاري للقسم فيما يقضم ساندويتشا ضخما، واحدا من السندويتشات التي اعدتها أم الانتحاري له ولأصدقائه قبل مغادرتهم المنزل بعد ان قضوا ليلتهم سويا. ويتابع الانتحاري شبه مدهوش الزملاء وهم يلتهمون السندويتشات في برود اعتيادي فاضح لا يخفي حتى نهمهم. هو نفسه يخرج عن سياق التسجيل بعد تلاوته لآيات قرآنية، ليوجه نصيحة أخيرة لأمه تذكرها كى تشتري زجاجات المياه من بائع آخر يبيعها بثمن أرخص. هذا المشهد بكامل تفاصيله مقدم بأسلوب تهكمي لا يتفق بالمرة مع الطابع المأساوي للموقف ولتيمة العمليات الانتحارية برمتها. كما أنه يكشف طابعا ارتجاليا او عشوائيا من الصعب ان يصدق المرء أنه يحكم علاقات أعضاء التنظيمات التي يقدم أفرادها أو أتباعها أو مجندوها، أيا كانت الصفة التي يصلون بها او عن طريقها الى تلك اللحظة الانتحارية/ الاستشهادية.

نعتقد ان التناول الواقعي للظاهرة كان يفترض أن يقدم المخرج نموذجا منواليا أي أكثر شيوعا لواحد من أولئك الأفراد الذين يسلكون الطريق المعتاد الى العمليات الانتحارية وكيف يتم اعداده وحشده وتربيته عقائديا ونفسيا لذروة اللحظة التراجيدية، علما بأنها قد لا تبدو كذلك لشخص توحد بالفعل بقضيته وقطع هذا الشوط من الإيمان التام بفكرة، علما بأن البطلين ليسا على نفس المسافة من الفكرة، كما أن دوافعهما تختلف وإن جمع بينهما رباط وجداني بحكم الصداقة وتلك الفكرة الخرقاء بأن يفارقا الحياة سويا كما عاشوها، وينعكس ذلك جليا حين تطرأ تعقيدات تطرأ على عملية التنفيذ. أما إذا كان المخرج قد قصد أن يقدم تناولا فانتازيا لظاهرة العمليات الانتحارية فإن ذلك قد لا يستقيم مع تصريحاته بأنه أراد أن يبين أن الشعور بالعجز هو الذي يدفع الفلسطينيين الى تنفيذ تلك العمليات. وهذا أيضا ليس اكتشافا ولا اجتراحا من المخرج، فاليأس بلا جدال هو القاسم المشترك الأعظم وراء عمليات الانتحار، لكنه لا يمكن أن يفسر وحده ظاهرة ترتبط عضويا وتاريخيا بحركة نضال شعب ولها جذور عقائدية في صلب ثقافة ذلك الشعب.

وهذا ايضا ما لم يتعرض له الفيلم الذي يقول مخرجه انه كعمل سينمائي يكتفي بعرض وجهات نظر مختلفة. فلم تكن هناك اصلا مناقشة للظاهرة بل إنها عرضت مبتورة تماما، حيث نفاجأ بهذين الشابين وقد انتقلا بين ليلة وضحاها من حياة رتيبة مملة، ونعم تخيم عليها سحابات يأس، الى خضم لحظة وجودية من الطراز الأول على وشك ان يلقيا بنفسيهما الى التهلكة.

ان عنوان الفيلم يشي بنصه المضمر، وفحواه أن أولئك الذين يقدمون على تنفيذ العمليات الانتحارية/ الاستشهادية إنما يفعلون ذلك هروبا من الجحيم الذي يصلونه على الأرض وطمعا في الجنة التي تنتظرهم في النعيم الأبدي. لكن الفيلم فشل في أن يرينا هذا الجحيم الذي يدفع ساكنيه للهروب منه الى فردوس مأمول. وهو فردوس لا يبدو ان البطلين يؤمنان به حقا حين يسأل أحدهما عما يحدث بعد تفجيرهما نفسيهما فيخبره ضابط الاتصال أن ملاكين يأتيان ليحملانهما الى السماء فيسأل ثانية «هل أنت متأكد»؟ ولا ندري هل هذا على سبيل التظرف او التهكم؟ هذان البطلان نفساهما يتصرفان كمراهقين حينما يريان قائد الفصيل الفلسطيني الذي أوكل إليهما تنفيذ العملية لأول مرة وكأنما التقيا بنجمهما السينمائي المفضل وهما لا يصدقان انهما يريانه «بشحمه ولحمه». هل هما على هذه الدرجة من السذاجة؟ أم أن تلك إشارة تهكمية من المخرج من المفهوم برمته. أم أنها إشارة لنوعية «غسيل المخ» الذي يخضع له منفذو تلك العمليات، وهو ما لم نر شاهدا ولا دليلا عليه في الفيلم. هذا القائد نفسه مقدم على أنه قبضاي يسير في شوارع نابلس محاطا بالأتباع واسلحتهم مشهرة، ونحن نعلم ان الطائرات الاسرائيلية لا هم لها سوى اصطياد المقاتلين الفلسطينيين بصواريخها ليل نهار.

هل صنع المخرج فيلمه وعينه على الجمهور الغربي؟ هل لهذا علاقة بتمويله؟ هذه اسئلة مكررة ولا جدوى من طرحها لأنه لا ينبغي معاملة العمل الفني بالنيات، فلنا أن نحكم عليه فقط في حدود ما يعرض امامنا على الشاشة. وقد شاهدت الفيلم مع اصدقاء فلسطينيين وكان أكثر ما ساءهم افتقاره للدقة والموضوعية في تصوير الواقع الفلسطيني، حتى اللهجة التي يتحدث بها ابطال الفيلم ليست لأبناء غزة والضفة الغربية بل لفلسطيني الداخل. فهل هو نوع من الاستسهال أو الاستغفال طالما أنهم كلهم فلسطينيون في عيون المشاهد الغربي (وكله عند العرب صابون)؟

نقول ذلك وقناعتنا أنه لا ينبغي للجدل السياسي المثار حول الفيلم أن يؤثر على حكمنا عليه كعمل فني في المقام الأول والأخير.

تداعيات

غسان نزال العائد إلى جنين

حكمت النوايسة*

■ قبل أيام كان غسان نزال على موعد مع جنين التي أحبّها حد الجنون، غسان نزال، السيناريست المبدع، والروائي المبدع، والإنسان الرائع، الذي عاش بيننا بخفّة طائر جنينيّ، وزّعه الحب بين عمان وجنين.

عمان الحشد والرباط، المهاجرين والأنصار، التي عمل فيها موظفا في المجلس الأعلى للشباب، ورئيسا لتحرير مجلّة الشباب، و كوّن فيها عشاّ لم ينسه يوما جنين، وجنين مسقط الرأس، ومهوى الفؤاد، المدينة التي كنت أتخيلّها خارجة من سحاب، وضباب أسطوريين عندما كان يحدّثني عنها، كان يتحدّث عن حلم رائع، وعن أسطورة صعبة، بقلب فيّاض بالمشاعر والحب، قلّ نظيره إن لم ينعدم.

غسان أحبّ أرض الحشد والرباط وأهلها حباّ جليا لم يكتمه، ولم يبد في سلوكه إلا ما يدل عليه، وكنت أستغرب سعة قلبه وسعة أفقه وفهمه للحياة، كان أعلى من المشهد الزائل، وأعلى من المهاترات التافهة، كأنه الطائر الذي كان يرى ما لا نرى وما يزال.

تصدّى غسان نزال لرواية غسان كنفاني «عائد إلى حيفا» وحولّها إلى عمل تلفزيوني مسلسل، وكم كنت مندهشا لاختياره هذه الرواية الملبسة، غير أنني كنت واثقا من أنه يعرض نفسه لتحدٍ ليس بالقليل، في نوع من التمرين الصعب الذي لا يقدم عليه إلا من يرى في نفسه الأهلية لذلك، ولعلّ أخطر سؤال كانت تطرحه «عائد إلى حيفا» هو سؤال الهوية الحقيقية لليهودي، من هو اليهودي؟ ومن هو الصهيوني؟ فضلا عمّا تنطوي عليه الرواية من تصوير لفظائع العدو الصهيوني التي ارتكبها بحق أهلنا في فلسطين. وعندما شاهدت العمل وجدت نفسي أمام كاتب سيناريو محترف، قبض بيده على جمر عمله وأتقنه، وحافظ في الوقت نفسه على حياد إنساني لم يقفز به على الوطنية وإنما تجلّت فيه بإنسانية رائعة. مع ما يعتصره من ألم وهو يرى خيط الدم المستمر وجرائم العدو التي لا تنتهي بحق أهلنا ووطننا.

وتصدّى غسان، إلى عمل آخر لا يقل خطورة عن رواية «عائد إلى حيفا» وهو أن يعد عملا تلفزيونيا عن غالب هلسا، أو عن أعماله الروائية التي كان الأردن فضاءها المكاني، وقد أنجز هذا العمل ونحن بانتظار أن نراه على شاشة التلفزيون . وما أود أن أشير إليه هو أن غسان قد تعب كثيرا في إعداد هذا العمل، سواء أكان بقراءة الحقبة التاريخية التي تمسّه، أم في البحث في لغة الخطاب السياسي الشعبي ومفردات الحياة الشعبية التي لفّت عمل غالب هلسا «زنوج وبدو وفلاحون» وقد كان مثابرا في هذا العمل، يوصل الليل بالنهار، كأنه في سباق مع الموت، وكأن جنين تلح في ندائه، كان يستشعر المرض ولا يستسلم له، وكان نداء الحياة أقوى من نداء الموت، كأنه يستخف بالموت أو أنه كان يلملم أوراقه لكي يعود إلى جنين الحبيبة والوطن والدفء الأخير.

فجأة، خذلنا غسان، وانسرق من بيننا في مرض غير ممهل، أدرك خطورته، وأدرك نتيجته، فقرر أن يعود إلى جنين، ناسيا كل ما هو مشغول به، ذهب إلى جنين بقصد الراحة، وأي راحة كانت، إنها الراحة الأبدية، هناك يبدو أن ترابها الطاهر استطوله، فما أن حطت رحاله في الوطن والأهل، حتى نادته نداء الحبيبة، واحتضنته إلى الأبد ..... تاركا أسرة كريمة في عمان.... تنظر في أوراقه المبعثرة على مكتبه، وهو يعد عملا تلفزيونيا عن رواية «ذاكرة الجسد» لم يمهله نداء جنين العزيز لإتمامه ...

غادرنا غسان، تاركا الأثر الطيب، والخلق النبيل، يتحدّثان عنه كأنّه بيننا تماما

وإلى رحمة الله يا أبا أمجد.

* شاعر أردني

مجلة «أوان» البحرينية:

غياب مبكر بعد ثلاث سنوات من العطاء الفكري المتميز

الدار البيضاء

من سعيد بوكرامي:

صدر العدد الحادي عشر من مجلة «أوان» البحرينية التي يترأس تحريرها الكاتب المتميز محمد أحمد البنكي وقد حمل العدد للقراء والباحثين صدمة ثقافية لم تكن في الحسبان، فبعدما اتخذت المجلة مسارها الاختلافي على صعيد الفكر والإبداع الذي كان شعاره الانفتاح والتجديد على المناهج والمتون المؤثرة في الفكر والوجدان الإنساني تعلن فجأة انقطاعها عن الصدور. وقد أكدت افتتاحية العدد الأخير هذا التوقف: بصدور هذا العدد تكون (أوان) قد أكملت عامها الثالث، وبصدور هذا العدد أيضا ـ وهذا أكثر ما يؤلم ـ تكون أوان قد لفظت نفسها الأخير. ثلاثة أعوام كنا ننظر إليها على أنها سنوات التخلّق لمجلة ثقافية جادة وصاعدة. وفي سنوات التخلق هذه كتب لـ«أوان» أن تستقيم وتنتظم في الصدور، وتمكنت ـ في زمن قياسي ـ من تكوين صورة مشرقة لنفسها في ذهن القارئ العربي، وأتاحت لها الرؤية التي انطلقت منها الفرصة لتحتل موقعها في المشهد الثقافي العربي، وتحلّق حولها ـ بفضل كل ذلك ـ أصدقاء كثر من كتاب وقراء وجدوا في «أوان» بغيتهم. أعوام ثلاثة انقضت من عمر «أوان»، وتشاء الأقدار أن تكون هذه الأعوام الثلاثة هي كل عمر «أوان».. لم تكمل مهمتها بعد، وستنقطع عن الصدور بعد صدور هذا العدد الأخير. ويبقى الأمل معقودا على شقيقات أوان، مجلة العلوم الإنسانية ومجلة ثقافات، اللتين تصدران عن كلية الآداب بجامعة البحرين. ونود أن نلفت عناية القارئ الكريم إلى أن موقع أوان الإلكتروني سيبقى لخدمة القراء والباحثين، ليكون حلقة الوصل في أوان نحن أحوج ما نكون فيه إلى التواصل.

قدرنا في هذا العالم العربي أن تموت الأشياء الجميلة والأجمل في خريطتنا الداكنة تلك المشاريع الثقافية التي تتكتل حولها نخبة من المثقفين المستنيرين بالفكر الجديد والمهجّسين بتجديد نمط التفكير العربي المعاصر. لكن كبوتهم التي ما فتئوا يكررونها دون هوادة حسن النية التي يتعاملون بها مع المؤسسات الرسمية التي تحتويهم تدريجيا لمراقبة مشاريعهم تارة ولفرض الوصاية عليهم تارة أخرى ولتصفيتهم ثقافيا في كثير من الأحيان. الأمثلة كثيرة لمشاريع ثقافية بلورت مشاريعها تحت رعاية مؤسسات رسمية ثم انتهت إلى سلة المهملات. أما آن الأوان لمثقفين أن يعووا أن ثقافة التنوير والتغيير لا تنسجم وثقافة المؤسسات الرسمية المؤسسة على البيروقراطية والمحسوبية والحسابات المادية بالدرجة الأولى.

شمس أخرى ترحل عنا ونحن في عز السواد الحالك.

ربما لم يحن الأوان بعد .

امرأة

علوان حسين *

ليس السجن
هي الجدران
أن تراقبك السماء
وكأنها تتجسس عليك
لا الطفولة هي
وقد تخطفها ملاك
لا تدري ما هو فاعل بها
ليس السجن
أن يهجرك الله
وأنت في بطن الحوت
وحيدا متألما
أو ان ترى نفسك
بغتة، بين يدي أسد فتاك
ليس السجن
كابوساً طويلاً ينزه
أحلامنا عند النوم
وإذ انقض عنا
نسيناه..

ليس السجن
أن تهجرك صباحاتك
أو تهاجر
ذاهبة وحدها لتموت
دون أن تقول لها
حتى وداعا..

ليس السجن
هو الخوف من السجن
وليس الخوف من السجان
ليس أن تتفسخ وحدها
أحلام أزهارك
ووحدها تذبل
زهور الأحلام
ليس السجن
أن تفارق

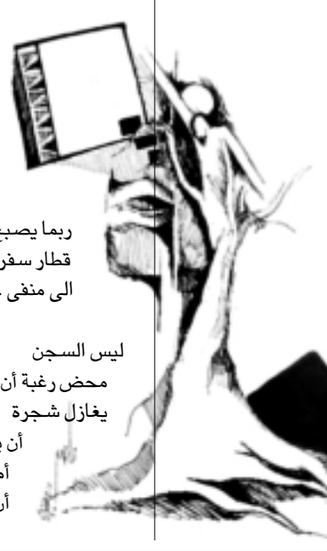

ايثاكا
أو بغداد
الى الخراب..

أن يجذبك دانتي من يديك
في رحلة الى الجحيم
وليس هي عذابات كلكامش
حيرته في البحث
عن عشبة توهمه بالخلود
ليس السجن
منفى قد نرضى به
ربما يصبح مجرد
قطار سفر يأخذنا
الى منفى جديد..

ليس السجن
محض رغبة أن ترى عصفورا
يغازل شجرة
أن يكون الكتاب لديك
أمنية تشبه المستحيل
أن لا ترى قطة
أو كلباً
ولا تمشي في شارع
أو تجلس في مقهى
عشرة أعوام ونصف
ليس السجن
أن لا تحدوك الرغبة
في صفع مخلوق تكرهه
أن تسرقك المسرات
أو الصفقات
ارتكاب جرائم صغيرة
تندم عليها فيما بعد
السجن ياسادتي باقتضاب
أن لا تحب
أو يحبك أحد
وأن لا ترتعد فرائصك
وأنت تحدق في وجه امرأة
بديع التكوين
قد تغدو لها عاشقا
بعد نظرة واحدة.

* شاعر من العراق يقيم في امريكا